نحو مفهوم جديد للاستعارة في ضوء اللسانيات العرفنيّة

أ/ بسمة سيليني[1]

جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل.

تاريخ الاستلام: 2019/10/18 تاريخ القبول: 11/04/ 2019 تاريخ النشر: 2019/11/20

الملخص:

لاشك أن اللسانيات العرفنية على غرار الأبحاث اللسانية قد قامت على أنقاض التيارات اللسانية السابقة، حيث أخذ البحث اللساني العرفني يتناول اللغة من حيث طبيعتها، وبالتالي وجب تناولها ها هنا من حيث مبادئ الإدراك والتذكر والتصور، إذ نجد تناولها للاستعارة بالمفهوم العرفني الجديد، فضلا على أن الاستعارة تمثل تشبيها حذف أحدث طرفيه على سبيل الاستعارة فتزيد بذلك المعنى قوة وجمالا هذا بالمفهوم التقليدي، سرعان ما تغير هذا المفهوم ببروز النظريات اللسانية العرفنية، كنظرية الاستعارة المفهومية ونظرية المزج التصوري، فأضحت بذلك الاستعارة في ضوء النظرية العرفنية ذو أبعاد تجريبية وموضوعية واقعية تشارك تجارب البشرية، لذلك سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية الوقوف على الوجه الجديد للاستعارة في ضوء النظرية العرفنية، وأهمية تجليها في بناء وإنتاج الخطاب الأدبي، فكيف سيكون التصور العرفني للاستعارة؟ وماهي النظريات اللسانية العرفنية التي عالجت التشكيل الاستعاري؟ وهل يمكن للتصور الاستعاري العرفني أن نجد له منابت في التراث اللغوي العربي؟.

There is no doubt that congnitive linguistics, such as linguistic research, was based on the ruins of the previous linguistic currents. Metaphor represents the analogy of the deletion of the newest terminals as a metaphor, thus increasing the power and beauty of this traditional concept. This concept soon changed with the emergence of congnitive linguistic theories, such as the conceptual metaphor theory and the theory of conceptual blending. Rafani with experimental and objective dimensions and realistic experiences of humanity, so we will try through this paper to stand on the new face of metaphor in the light of congnitive theory, and the importance of manifestation in the construction and production of literary discourse,

[1]– **المؤلف المرسل:**أ/ بسمة سيليني، **الإيميل**: abasmahbasma@gmail.com

how will the congnitive perception of metaphor? What are the congnitive linguistic theories that dealt with metaphorical formation? Is it possible for the metaphorical congnitive perception to find him in the Arab linguistic heritage ?.

1. مقدمة:

حظيت الاستعارة منذ القديم باهتمام الباحثين واللغويين والنقاد، فألّفو فيها الكتب والدراسات في الدواوين والقصائد والأعمال الفنية على أنواعها، ذلك لكون الأهمية التي تحظى بها الاستعارة في تقوية المعنى وتوضيحه، وزيادة على الأهمية التي تحظى بها الاستعارة في تمثيل المعاني وتوضيح علاقات التشابه وأوجه التشابه فبظهور النظرية العرفنية توغلت الأبحاث في الدراسات اللغوية والبيانية وأعطتها الطابع العرفني المميز فانتقلت المفاهيم الكلاسيكية للاستعارة إلى مفاهيم أخرى ذات بعد عرفني تصوري، متخذا من البحث اللساني آلية لفهم الأنساق الآلية للاستعارة اللغوية في ضوء البحث العرفني.

2. اللسانيات العرفنية:

يقول **لايكوف:** " علم العرفنية حقل جديد يجمع بين ما يعرف عن الذهن في اختصاصات أكاديمية عديدة: علم النفس، واللسانيات والأنثروبولوجيا والحاسوبية. وهو ينشد أجوبة مفصلة عن أسئلة من قبيل: ما هو العقل،؟ كيف نعطي لتجربتنا معنى؟ ما هو النظام المفهومي وكيف ينتظم؟ هل يستعمل جميع البشر النظام المفهومي نفسه؟ وان كان الأمر كذلك فما هو هذا النظام؟ وان لم يكن كذلك ما هو بالتحديد ذاك الشيء المشترك بين بني البشر جميعهم في ما به يفكرون؟ فالأسئلة ليست جديدة، ولكن بعض الأجوبة جديدة"[1] فالعلم العرفني يدرس الذهن البشري والمعرفة الانسانية والمفاهيم البيولوجية التي تفهمه.

فاللسانيات العرفنية تيار لساني حديث النشأة، يقوم على دراسة العلاقة بين اللغة البشرية والذهن والتجربة بما فيها الاجتماعي والمادي والبيئي: أي العلاقة بين اللغة والذهن والتجربة (الاجتماعية والمادية والبيئية) فإذا كانت النظرية التوليدية تقوم على أساس النحو الكلي، وأنه مركوز في عضو ذهني من الدماغ مخصوص هو اللغة، وخلافا لهذا الرأي يأتي التيار العرفني يذهب إلى تجذر المبادئ الكونية في الملكة العرفنية، فينتفي بذلك وجود عضو ذهني مخصوص باللغة، فاللغة مثل سائر الأنشطة الرمزية إنما هي وليدة نشاط عرفاني مركوز في المولدة العرفنية العامة التي تمثل نشاط الدماغ عضوا ماديا.

ويتجه أصحاب هذا الاتجاه الى دراسة اللغة من خلال عدم فصلهم بين اللغة والفكر، بحيث تبحث اللسانيات العرفنية في الآليات التي يتم بها عمل الدماغ البشري لإنتاج المعرفة وتوليدها مستفيدة بذلك من علوم الأعصاب والتشريح والرياضيات وعلوم الحاسب الآلي. "وتجري اللسانيات العرفنية تسمية عامة على تيار أو حركة تجمع عددا من النظريات التي تشترك في الأسس والمنطلقات ولكنها مختلفة متنوعة متداخلة في بناءها ومشاغلها وتوجهاتها ومجالات العناية فيها، وهي تنقسم في المطلق إلى اتجاهين كبيرين متصارعين الأنحاء العرفنية، والنحو التوليدي في آخر تطور له (البرنامج الأدنوي أو الأدنوية)[2].

1.2.المجالات العرفنية:

تقوم اللسانيات العرفنية على استعراض أهم الخاصيات الدلالية لعبارة لغوية ما يكون ربطها بمجموعة من الأبنية المعرفية التي يطلق عليها في النحو العرفني مصطلح "**مجال تصوري**"، فالوحدة المعنوية **"كتاب"** مثلا تحيل إلى مجال عرفاني **خاص بالأشياء المادية** (objets physiques)[3]، باعتبار أن الكتاب شيء مادي له حجم ووزن وشكل وغير ذلك من المجالات من مثل مجال الطباعة، ومجال اللغات، ومجال كل ما هو مكتوب وإلى غير ذلك من المجالات الممكنة. بمعنى أن كل عبارة لغوية تحمل تصورا ذهنيا ويمكنه أن يمثل مجالا لتحديد الخصائص المعنوية لعبارة لغوية ما، وهذا ما يسمى بالحقل الدلالي.

كما يتوجه بنا التحليل العرفني للعبارة إلى مجال آخر هو **الفضاءات الذهنية**؛ أي بالرجوع إلى فضاء ذهني معين، والفضاء الذهني عبارة عن وضعية(une situation) معقدة إلى حد ما تشتمل على مجموعة من العناصر وعلى علاقات معينة بين تلك العناصر، ومن بين هذه الفضاءات الذهنية يمكننا أن نذكر المعتقدات والحالات الشعورية ورغبات المتكلم وتصوره للواقع، كما يمكننا أن نشير إلى الفضاءات الذهنية التي تعرضها علينا الوضعيات في رواية أو مسرحية أو شريط سينمائي[4].

3. نظرية الاستعارة:

الاستعارة وكما هو مألوف في الدراسات الأدبية واللغوية هي تشبيه حذف أحد طرفيه على سبيل الاستعارة المكنية أو التصريحية، لكن في الحقيقة أن الاستعارة أكبر من هذا، "فالاستعارة هي وسيلة لفهم مجال من خلال مجال آخر، وهذا الفهم يتطرق إلى جميع مجالات الحياة التي يعيشها

الناس جميعا" فعند حديثنا عن العلاقات والترابطات والمشابهات تفرض الاستعارة نفسها، إنها الوسيط بين الذهن البشري، وما يحيط به من أشياء من هنا يتضح لنا أن الاستعارة هي تصور للأشكال المحيطة بنا فنقوم بتصور ذهني للأشياء بفضل الاستعارة والتي تقوم بواسطة اللغة والتي تقوم بدوها باستدعاء الاستعارة لا يكتمل، ولا يتناسب على الإطلاق كوسيلة للتعبير عن الزمانية المختلفة للرموز، أو ما يمكننا أن نسميه إصرارنا على البقاء...فكل استعارة تستدعي الأخرى، وكل واحدة تبقى حية بالحفاظ على قدرتها في استحثاث الشبكة الاستعارية بأكملها.

وفي هذا السياق يمكننا التفريق بين **المعرفة والعرفان**:

المعرفة: هي المعرفة المعقلنة الناتجة عن الحضارة والتفكير الواعي.

العرفان: هو العرفان الطبيعي المترسخ في خصائص الدماغ والمجاوز للوعي والادراك والصالح موضوعا للدراسة العلمية. فهو تمييز بين ما هية العلم فهو المعرفة التي تتدخل، وبين ما هو موضوع العلم، أي هو تفريق بين ما هو من الثقافة وبين ما هو من الطبيعي، فهو المعرفة التي تدخل إلى الذهن نتيجة للحضارة والثقافة، أما العرفان فهو العرفان الناتج عن طبيعة الدماغ المترسخ في خصائص الدماغ والمجاوز للوعي والادراك والصالح موضوعا للدراسة لذلك فقد ظهر هذا العلم العرفني ليجيب عن أسئلة من قبيل: كيف نفكر؟ وكيف نتمثل العالم من حولنا؟[5] كيف نكتسب المعلومات ونخزنها ونوظفها؟ من خلال علم النفس العرفني الذي يتقاطع مع علوم مختلفة كالسيبرنطيقا، وعلم الأعصاب، والفلسفة، وعلوم الدماغ وعلوم الحاسوب، والأنثروبولوجيا واللسانيات وغيرها من العلوم التي تسمى بالعلوم العرفنية. والعرفان في الأصل اسم الحدث من (عرف يعرف) يدل على العلم بالشيء أو الاقرار بالمعروف وعدم نكران الجميل. ثم استعمله أهل التصوف لما يكون لهم من معرفة غير آتية عن طريق العقل ولا مثبتة باستدلال وبرهان.

1.3.الاستعارة العرفنية:

فلم تعد الاستعارة مجرد عدول أو استبدال مثلما سبق، أو عدول عن معنى حرفي إلى معنى مجازي، بل هي عملية إدراكية كامنة في الذهن تؤسس أنظمتنا التصورية، وتحكم تجربتنا الحياتية، أي الاستعارة في جوهرها ذات طبيعة تصورية لا لسانية، إنها عملية تقوم على استغلال آلة الذهن في إدراك ما حولنا بخلق مجال مشابه له يؤدي إلى تصور ما لا نستطيع أن ندركه لطبيعته الخيالية، فالاستعارة ذات طبيعة تصورية لا لسانية.[6] وتعد كتابات لا يكوف **(lak off**) وجونسون **(Johnson)** في

هذا المجال مجالا خصبا يعتد بالاستعارة العرفنية ظاهرة كلامية في الحياة اليومية في كتابهما **"الاستعارة التي نحيا بها"** بحيث وجه انتقادات كثيرة للنظريات الكلاسيكية ولخص مواطن الخلل فيها فيما يلي:

- اعتبار الاستعارة مادة لغوية لفظية لا صلة لها بالفكر والأنشطة البشرية.
- اعتبار لغة الاستعارة لغة غريبة عن اللغة العادية.
- التعابير الاستعارية اليومية هي استعارات ميتة.
- اللغة الاستعارية لغة متغيرة، ومن ثم يصعب اعتمادها في كل الخطابات.
- اعتبار الاستعارة حليا أو زخرفة لفظية.
- اختزال الاستعارة في ضوء نظرية الصور المجازية[7] فقد سعى جورج **لا يكوف وجونسون** إلى بناء نظرية للاستعارة في ضوء الاتجاه العرفني الذي يعتبر الاستعارة بهذا المفهوم موجودة في حياتنا وفي خطاباتنا اليومية لكن ما الذي يجعلنا لا ننتبه للاستعارة في نشاطاتنا اليومية، يجيب في ذلك صاحبا هذه النظرية، أن ترسخ هذه الخطابات في حياتنا جعلها تقترب من الخطاب العادي، فلا نتفطن لوجودها. فتمثل الاستعارة بالنسبة لعدد كبير من الناس أمرا مرتبطا بالخيال الشعري والزخرف البلاغي... إذ إنها تتعلق في نظرهم بالاستعمالات اللغوية غير العادية وليست بالاستعمالات العادية، ويعتقد الناس أن الاستعارة خاصية لغوية تنصب على الألفاظ وليس على التفكير أو الأنشطة، ولذلك يظن أغلب الناس أننا بإمكاننا الاستغناء عن الاستعارة دون جهد كبير، وعلى العكس من ذلك فقد انتبه العلماء إلى أن الاستعارة حاضرة في كل أوقاتنا وحياتنا اليومية، إذ لا يقتصر تصورها في اللغة وحسب وانما هي موجودة في أفكارنا، إذ أن النمط الذي يحكم سلوكاتنا في أغلبه هو استعاري بالأساس ولإعطاء فكرة عما يجعل من تصور ما تصورا استعاريا ويبنين بذلك نشاطا من أنشطتنا اليومية، نبدأ بتصور الجدال وبالاستعارة التصورية: **"الجدال حرب"**، فتعكس هذه الاستعارة في لغتنا اليومية عدد كبير من التعبيرات:

1- لا يمكن أن تدافع عن ادعاءاتك.
2- لقد هاجم كل نقط القوة في استدلالي.
3- أصابت انتقاداته الهدف.

4- لقد هدمت حجته

5- لم أنتصر عليه يوما في جدال

6- إذا اتخذت هذه الاستراتيجية ستباد

7- إنه يسقط جميع براهيني

فهنا من المهم أن نرى أننا لسنا نتحدث فقط عن الجدال بعبارات الحرب، إذ أننا يمكننا أن ننتصر أو ننهزم فعلا، فالشخص الذي نتجادل معه يعتبر غريما، فنحن ندافع عن مواقفنا ونهاجم موقفه، وإذا وجدنا في موقف ضعيف فإننا قد نتركه ونختار خطا دفاعيا آخر، إذ أن جزءا كبيرا من الأشياء التي نقوم بها أثناء الجدال يبنينها تصور الحرب. وإذا لم نجد معركة مادية فإننا نجد معركة كلامية، وبهذا المعنى تكون استعارة الجدال حرب من بين الاستعارات الموجودة في ثقافتنا والتي نحيا بها إذ أنها تبين الأنشطة التي ننجزها عندما نتجادل[8].

وأهم افتراض أثبته **لا يكوف** هو أن الاستعارة لا ترتبط باللغة أو الألفاظ فقط، بل على العكس من ذلك، فسيرورات الفكر البشري هي التي تعد استعارية في جزء كبير منها، وهذا ما ينهيه حين يقول أن النسق التصوري البشري مبنين ومحدد استعاريا، فلاستعارات في اللغة ليست ممكنة إلا لأن هناك استعارات في النسق التصوري لكل منا[9].

يقول عبد الإله سليم : " لننظر للاستعارة نفسها من خلال النسق التصوري لمفهوم الوجود الانساني، هنالك استعارة تصويرية هي استعارة انسان، ومفهومها أن الاستعارة تولد جديدة بواسطة ملاحظة علاقة، أو افتراضها، فتبدأ في النمو والانتشار والشهرة حتى تكبر، ثم تموت وتنسى أصولها الاستعارية "[10] لذلك يبدو أن قدرة الاستعارة لا تخلد مهما كان جمالها فمصيرها الموت مهما كان أجلها وقدر اللغات أن تكون مقبرة لاستعارات ميتة نسيت أصولها، إن عمر الاستعارة قد يطول ويستمر أجيالا، نتصور مسار الاستعارة كالآتي:

استعارة وليدة استعارة عرفية استعارة ميتة.

إذ أنها عملية ديناميكية تبدأ من مبتكر له عين لاقطة يلاحظ تشابها أو تقاربا في إحدى السمات الانتقالية بين المتنافرين، فيستغل التوتر الحادث بين المتنافرين فيبدع صورة استعارية جديدة تشيع وتنتشر، ثم تبتذل وتموت .

فمن خلال هذا التفصيل يتبين لنا أن ظن بعض الناس في الاستعارة بالنسبة لعدا أمرا مرتبطا بالخيال الشعري والزخرف البلاغي وجماليات المعنى واللفظ، وبالتوجه العرفني للتحليل اللغوي تسقط مقولة أ الاستعارة تتعلق في بالاستعمالات اللغوية غير العادية، ففي اعتقادهم أن الاستعارة خاصية لغوية تنصب على الألفاظ وليس على التفكير أو الأنشطة، هو مفهوم كلاسيكي قديم، ولهذا يظن أغلبهم أننا بالإمكان الاستغناء عن الاستعارة دون جهد كبير، وعلى العكس فببروز الاتجاه العرفني في البحث اللغوي تبين أن الاستعارة حاضرة في حياتنا اليومية فالنسق التصوري الذي يسير تفكيرنا ذو طبيعة استعارية.

2.3. النظرية الاستعارية في العلوم العرفنية:

1.2.3نظرية الاستعارة التصورية:

نظرية الاستعارية المفهومية تسمية لجملة من الأفكار والمبادئ متعددة روافدها في إطار اللسانيات العرفنية، ولعل اقترانها **بلا يكوف** عائد إلى ما له فيها من صهر وبلورة وما لآثاره من رواج وما لطريقته في العرض والبسط من الوضوح والنجاعة[11]، وعلى أن النظرية الكلاسيكية ترى أن العقل يقوم الحقيقة (المعنى الحرفي) ومجاله القضية التي تقبل الصدق والكذب بصفة موضوعية، لكن الفكرة الجديدة تأخذ فكرة التخيل (المجاز) في العقل (الاستعارة، المجاز، والتصور الذهني) باعتباره مكونا مركزيا من مكونات العقل لا مكونا زائدا ينضاف إلى الحقيقة[12] فيتبين أن الاستعارة موجودة في حياتنا وتنظم فكرنا في جميع الاستعمالات اللغوية، لذلك سميت بالاستعارة المفهومية نظرا للطبيعة الافهامية للاستعارة وهذا بدوره ينفي النظرة الكلاسيكية للاستعارة على أنها ظاهرة لغوية وليست فكرية، "ليثبت خلاف ذلك فالاستعارة ظاهرة مركزية غالبة في دلالة الكلام العادي اليومي، وهي جزء من الفكر من حيث مثلت أداة في تصور العالم والأشياء وتمثلها في جميع مظاهرها، فهي جزء من النظام العرفني"[13] من هنا سميت بالاستعارة المفهومية أو التصورية.

3. 2.2. نظرية المزج التصوري أو المفهومي:

"إنها فرع من النظرية العرفنية تقوم على أدواتها وتستخدم أفكارها، لقد نشأت **نظرية المزج** من تساؤل في ما به يكون نشوء المفاهيم الجديدة في الفكر البشري ، بما يتضمن ذلك من الصور والأفكار والأعمال والمصوغات في جميع المجالات"[14] كما تبلورت للإجابة عن جملة تساؤل يكون بها حدوث

المفاهيم مزيجا من مفاهيم أخرى، فيكون لها معنى جديد غير متوفر في المفاهيم المتمازجة كأن نعبر مثلا عن عجز الطبيب، وعدم معرفته بتسميته جزارا، أو من خلال إطلاقنا لسفر الناقة وشدة تحملها للسفر والجوع والعطش بسفينة الصحراء. وقد تبين قصور نظرية الاستعارة المفهومية للايكوف عن الإحاطة بنماذج من هذا القبيل، إذ لا مجال فيها لتمثيل الطبيب على أساس الجزار، أو للناقة على أساس السفينة، ويظل السؤال مطروحا في ما به كان بناء المعنى الناشئ في كليهما أي الفشل والصبر تباعا، وقد سعت فيها المجالات التي اعتمدت فيها آليات المزج[15]، فيطرح الأزهر الزناد سؤالا هو: إذا كان عمل الاستعارة المفهومية كما يرى لا يكوف، هو فهم مجال من خلال مجال آخر، فكيف نفهم دور العقل وعمله في الجمع بين شيئين لإنتاج شيء ثالث، لم يذكر في النص إلى جانب الشيئين الآخرين ؟ فإذا قلنا زيد أسد، جلس في مجلسنا أسد، فقد استعرنا من الأسد صفة الشجاعة، لفهم مجال آخر هو شجاعة زيد (استعارة مفهومية).[16]وبما أن المزج المفهومي يقوم على الجمع بين حقيقتين لإنتاج مجال ثالث كما في المثال السابق:

طبيب (مجال أول) + جزار (مجال ثاني) = طبيب فاشل (مجال ثالث).

ناقة (مجال أول) + سفينة (مجال ثاني) = شدة صبر الناقة (مجال ثالث). هذا هو التصور الذي قدمته نظرية المزج المفهومي ردا على قصور الاستعارة المفهومية.

وحسب برونور أن المزج عملية ذهنية بسيطة بلغت شكلها الأرقى منذ 50.000 سنة أو ما يزيد عن ذلك بقليل، وأن هذا الشكل الأرقى هو ما يسر قيام امكانيات كبيرة من العمليات الذهنية العليا عند البشر، بما فيها اللغة، ويسمي هذا الشكل الأرقى من المزج **"المزج الدوامة"** عندما اقترح هو وجيل **فوكونياي** نظرية المزج المفهومي لأول مرة ودرسا هذا النوع من المزج أطلق عليه المزج "الثنائي المدى"، فالمزج ذلك المرقع الذهني الذي نشأ بفضل التطور البيولوجي، يعمل بسرعة فائقة تتجاوز سرعة العمل في أي واحدة من الآليات الأخرى في التطور البيولوجي، يعمل المزج على ما هو حاصل في ما نعرفه بأن يجمع بين الأشياء بوجوه جديدة يكون لها نشوء بنية جديدة لا تتأتى تأتيا مخصوصا مما يكون تجميعه من العناصر[17].

4.الاستعارة التصورية في الأدب:

لقد تبين أن الاستعارة في الأدب وخاصة الشعر، بحسب **فيليز دور**، لها تأثير لا يمكن انكاره على إبداع وتأويل المعنى، ذلك أنها تجعل الأدب مثيرا وجالبا للاهتمام لأن يقرأ. إذ أنها تعطي تمثيلا لأفكار

الكاتب وتبني خلفية مشتركة لجميع الناس في جميع مواقفهم المختلفة، باختلاف الزمان والمكان، إذ يمكن للاستعارات أن تستخدم لتوضيح الأفكار بطريقة فريدة من نوعها على عكس مجرد التلفظ بها بصفة صريحة، وتماما كما نستخدم الاستعارات في حديثنا اليومي[18]. وحسب لا يكوف أن الاستعارة الشعرية تستخدم كل هذه الآليات مركبا بعضها فوق بعض. للتوضيح يمثل لا يكوف للتوسعات في الاستعارة الوضعية بأمثلة شعرية منها **بيتي دانتي** الذي يستهل بهما الكوميديا الإلهية:

"في منتصف طريق حياتنا، وجدت نفسي في غابة مظلمة[19]، إذ يحلل لا يكوف البيتين بقوله: إن طريق الحياة يستحضر مجالي الحياة والسفر، وبالتالي ما يربط بينهما هي الاستعارة الوضعية: الحياة سفر. وقوله: **"وجدت نفسي في غابة مظلمة"** يستحضر معرفة أنه إذا كان هناك ظلام فلا يمكنك رؤية الطريق الذي يجب أن تسلكه، يستحضر هذا مجال الرؤية، وبالتالي تستحضر الاستعارة الوضعية **المعرفة رؤية**، كما في عبارات: "أنظر ما الذي ستحصل عليه، لو ..."، "فرضياته ليست واضحة"...الخ، يقتضي هذا أن المتكلم لا يعرف الطريق الذي يجب أن يسلكه، وبما أن **الحياة سفر** تحدد غايات أن أهداف الحياة، فإنها تقتضي أن المتكلم لا يعرف ماهي أهداف حياته، حتى يواصل مسيره، وهذا يعني أنه يحيا بلا غاية يسعى إليها، فلا يتطلب كل هذا استخدام شيء عدا نسق الاستعارة الوضعي، والبنية المعرفية العادية يستدعيها المعنى الوضعي للجملة، من هنا إن الاستنتاجات الاستعارية تتأسس على بنية المعرفة هذه[20]. ويصور لنا الباحث **عمر بن دحمان** حالة أخرى بنفس القدر البسيط من استخدام النسق الوضعي عثر عليها **بيتي روبرت فروست**:

"طريقان يفترقان في غابة، وأنا

أخذت أقصرهما سفرا، ذلك الذي صنع الفرق كله"[21]

إذ يعلق **لا يكوف** على المقطع بأنه ما دامت لغة فروست لا تؤشر غالبا وبشكل صريح على أنه ينبغي التعامل مع القصيدة استعاريا إلا أن المدرسين غير الأكفاء يدرسون فروست أحيانا كما لو كان شاعر الطبيعة، همه الوحيد وصف المشاهد ببساطة، فبالرغم أنه لا يوجد شيء يجبرنا على تأويل الجمل استعاريا، إلا أنه نظرا لكونه بصدد سفر وأنه يلاقي مفترق طرق، فإنه تستحضر المعرفة حول الأسفار، فنمطيا تؤخذ القصيدة على أنها تتعلق بالحياة واختيار أهداف الحياة، كما يمكن تأويلها أنها حول الوظائف المهنية.

أمثلة أخرى اقترحها كوفيتش عندما أورد ثلاث قصائد كاملة توضيحية، وتعليقه على الأبيات الأولى: وهي أبيات للشاعرة **كريستينا جيورجينا روسيتي:**

"هل سيأخذ سفر اليوم طوال هذا اليوم كله؟

من الصباح إلى الليل يا صديق.

ولكن هل هناك لليل من موضع للهجوع؟

مأوى حيث تبدأ الساعات السوداء البطيئة

ألا يمكن للظلمة أن تحجبها عن وجهي؟

إنك لا تستطيعين آنسة هذا الخان

هل سألقى عابر سبيل آخر بهذا الليل؟

هؤلاء الذين مضوا قبلي

إذن أيجب علي أن أطوف أو أن أتساءل متى سأبصر فقط؟"

فيعلق **كوفيتش** قائلا بأنه يمكننا أن تتفق بشكل واضح على ارتباط الأبيات بمسألتي الحياة والموت، ويشير الباحث عمر بن دحمان إلى أنه، ما الذي يجعلنا نطمئن بثقة أكبر إلى أن للقصيدة هذا التأويل الضمني العميق؟

يجيب **كوفيش** في هذا الصدد إلى أنه من وجهة نظر معرفية الاستعارة، يمكن اقتراح استناد هذا الحكم على الاستعارة التصورية التي تربط الحياة والموت والسفر. فالاستعارة المعروفة لدينا الآن هي أن: **الحياة سفر والموت نهاية السفر**، فعلى الرغم من عدم وجود إشارات للحياة والموت في القصيدة إلا أن استعارة السفر للحياة والموت تقودنا إلى إعطائها هذا المعنى[22].

ففي استعارة البيت الشعري "**من الصباح إلى الليل يا صديق** " فهنا تستحضر استعارة أن **العمر يوم**، وحين يقول: **"حيث تبدأ الساعات السوداء البطيئة"** تستحضر الاستعارة الوضعية الحياة نور، والموت ظلمة، والبيت "ولكن هل هناك لليل من موضع للهجوع؟" تستحضر استعارة الموت ليل، والموت سكون وراحة، إذ أن هذه الاستعارات التصورية هي جزء من حياتنا اليومية وحياتنا، من هنا نواصل تحليل كوفيتش إلى أن الاستعارات التي يستخدمها المبدعون هي جزء من حياتنا وتصوراتنا في الحياة.[23] وانظر قول الجرجاني في هذا السياق أشبه بأقوال العرفنيين من علماء الدلالة في الاستعارات التصورية والاستعارات الشعرية، وإذ أن الأولى كامنة في الذهن ومشتركة بين الناس،

حسب قول الجرجاني مركبة في النفس تركيب خلقة، والثانية هي الاستعارة الشعرية التي تصرف بإعادة إخراج لهذه الاستعارات التصورية بالزيادة والإفاضة والتوسيع والتركيب[24]. ومن جهة أخرى سننظر في بعض استعارات المتنبي التي اتهم فيها بالسرقة، قاصدين في ذلك معالجة عرفنية، توضح بعض ما استغلق على القدماء في تقصيهم لهذه القضية، مستفيدين من ملاحظاتهم التي وفرها جهازهم النقدي التاريخي، متخذين من بعض الأمثلة التي ساقها القاضي الجرجاني في وساطته نموذجا:[25]

-تعد الاستعارة التصورية "الانسان نور"، من أكثر الاستعارات جريانا قديما وحديثا، عند الأدباء وعند عامة الناس، ولهذه الاستعارة تجليات لغوية متعددة ومختلفة تواترت حتى ابتذلت، ومثالها الانسان قمر، الانسان شمس، الانسان كوكب، والانسان نجم، وغيرها...وقد اتهم المتنبي بالسرقة في العديد من الصيغ اللغوية الراجعة إلى هذه الاستعارة القاعدية، مثل:

- **يقول أبو التمام:**

فردت علينا الشمس والليل راغم بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

- **ويقول أبو الطيب:**

رأت وجه من أهوى بليل عواذلي فقلن نرى شمسا وما اطلع الفجر[26]

فانطلق البيتان من استعارة تصورية، هي "**الانسان نور**"، واستعمل كلاهما تجليا لغويا مستهلكا متداولا لهذه الاستعارة التصورية، وهو "المرأة شمس" . لكنهما وسعا من هذه الاستعارة وزادا فيها حتى أخرجاها إخراجا جديدا ميزها عن أصلها. ولا مشاحة عليهما في توظيفهما لاستعارة تصورية واحدة، فهي من المشترك العام، ومن المشاع في بين أفراد الثقافة الواحدة، فلا يتفرد بها أحد، ولا يدع فيه الأسبقية مدّع. ولكن الزيادة هي التي ننظر فيها، فكلاهما استعارة الليل إلى جانب الشمس، وجعلا الشمس تطلع في غير زمانها، و ربما من هذه الجهة تأتي تهمة السرقة، فالاستعارة الأم ليست من ابتكار المتنبي، ولا الإضافة التي أضافها مما تفرد به وسبق إليه.

- **وفي قول البحتري:**

أضرت بقول البدر والبدر طالع وقامت مقام البدر لما تغيبنا

وقال **أبو الطيب** فأتى بالمصراع الثاني:

وما حاجة الأظعان حولك في الدجى إلى قمر ما واجد لك عادمه[27]

ينتمي البيتان إلى استعارة لغوية مشتركة، هي **"الانسان بدر"**، وهي تجلي لغوي لاستعارة قاعدية، هي **"الانسان نور"**، ولكن البحتري والمتنبي تصرفا في هذه الاستعارة بالزيادة والتوسيع، فاستدعى كلاهما البدر الحقيقي إلى جانب البدر المجازي، وهذا ربما ما دعى إلى القول بالسرقة، ولكن بين البيتين اختلافا مكمنه في اعتقادنا درجة المبالغة والغلو، فالبحتري جعل البدر مجازا يضر بالبدر الحقيقي، ولكنه لا يحل محله إلا إذا تغيب، وفي المقابل جعل المتنبي حضور البدر المجازي يعدم وينفي البدر الحقيقي حتى كأن لا وجود إلا لبدر واحد.

- **ويقول ابن المعتز:**

وأرى الثريا في السماء كأنها خرّد تبدت في ثياب حداد

ويقول أبو الطيب:

كأن بنات نعس في دجاها خرائد سافرات في حداد

فانبرى البيتان على استعارة تصورية مشتركة هي **"الانسان نور"** أو تفريعها المقولي **"المرأة كوكب"**، حيث تمثل المرأة الميدان الهدف الذي يراد فهمه بإسقاط ترسيمة الميدان المصدر عليه وهو الكوكب، ولكن ابن المعتز قلب التشبيه فجعل الميدان المصدر ميدانا هدفا والميدان الهدف ميدانا مصدرا، وكذلك فعل المتنبي، ولكن طرافة بيت ابن المعتز تتمثل في زيادة استعارة تصورية أخرى ترتبط بهذه الاستعارة، وهي **"الليل لباس"** فلما كانت النجوم تقتضي الليل والمرأة تقتضي اللباس، جعل ابن المعتز النجوم في الليل كأنها امرأة في لباس أسود، واللباس الأسود عند العرب هو لباس الحداد. إذ أن هذا التشبيه من ابتكار ابن المعتز الذي فيه فضل المراكبة والتوسيع رغم أنه ينطلق من استعارات تصورية معلومة، والمتنبي لم يضف إلى صورة ابن المعتز شيئا يذكر، لذلك يصح القول بالأخذ في هذا الضرب من الأقوال[28].

وقال ابن الخياط:

لمست بكفي كفه ابتغى الغنى ولم أدري أن الجود من كفه يعدي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت، وأعداني فأتلفت ما عندي

قال أبو تمام:

علّمني جودك السماح فما أبقيت شيئا لدي من صلتك

قال آخر:

لست أضحي مصافحا لسلام إنني إن فعلت أتلفت مالي

فنقله أبو الطيب إلى الزمان، فصار كالمعنى المنفرد، فقال:

أعدى الزمان سخاؤه فسخا به ولقد يكون به الزمان بخيلا[29]

هذه الأبيات مجتمعة، هي تجليات لغوية لاستعارة تصورية واحدة، يمكن أن نسميها بـ**"الأخلاق المعدية"**، ولما كانت الأمراض المعدية يمكن أن تنتقل من إنسان إلى آخر، فإن القيم الأخلاقية تنتقل من إنسان إلى آخر، و**"الجود معد"** وقد تصرف هؤلاء الشعراء في هذه الاستعارة بالزيادة والتوسيع والإفاضة، فذكر ابن الخياط الكف والكف هو رمز الجود والكرم، وجعل العدوى تأتيه عبر الكف فأضحى كريما مثله، فأتلف ماله. وهذا المعنى ما نجده في قول **"الآخر"** وإن نفى المصافحة لعلمه بالعدوى فاتفقا في المعنى واختلفا في إخراجه. أما المتنبي فقد زاد فيه زيادة أخرجته عن القول الأول، وجعلته كالمعنى المخترع المتفرد، فجعل بذلك المعنى المتفرد، فجعل العدوى لا تصيب الانسان بل تصيب الزمان، فتمكن من أن يجمع بين استعارتين في ربقة واحدة، وهما **"الجود شيء معد"** و**"الزمان كائن حي"**، فأخرج الاستعارة إخراجا اختلف به عن سابقيه.[30]

5.نظرية المزج التصوري:

1.5.أصل المزج التصوري: إن الدراسة التي تقوم على المزج بين شيئين لإنتاج ثالث ليست جديدة، لأنها تقوم على ملكة عرفنية هي ملكة المزج، فالمزج ملكة عرفنية بمعنى أنها جملة عمليات طبيعية يقوم عليها اشتغال الذهن في جميع مظاهره بصورة آلية[31]، والمزج ملكة حركية مرنة عاملة زمن التفكير، والمزج جزء من العرفنية الخلفية أو الباطنية تشتغل من وراء الستار، ويكون إنتاجها في مستوى الوعي عمل عرفاني مباشر وبسيط في ظاهرها، من هنا يمكننا القول:

أ- المزج ملكة عرفنية: ترجع إلى الطبيعة البشرية وهي متأصلة عند كل إنسان، يقوم عليها اشتغال الذهن البشري، بطريقة آلية عفوية أثناء الكلام.

ب- المزج عملية آنية: فهي عملية تفكير تتم أثناء الكلام، بل يقوم عليها الكلام، وما يحدث فيه من حوارات وجدال، إذ تقوم الخلفيات الذهنية التي لدى المتكلم والسامع بإدارة الحوار وتوجهه، وتشير إلى هذه الخلفيات شفرات القول التي لا يحلها إلا المتكلم وبعض المستمعين بناء على تلك الخلفيات.

ت- المزج عملية تتم في ما وراء الوعي: هذا ما يظنه بعض الدارسين، فهي عملية عقلية معقدة، تتم من خلال إدراك ووعي تأمين ليكون توجيهها للفرد صحيحا، ولكنها تتم بطريقة آلية عفوية متكررة، ونظرا لتكرارها الدائم في حياة الانسان يظهر لنا أنها من اللاوعي، فهي تشبه عملية قيادة السيارة للشخص المحترف فنظرا لتكراره لفعل السياقة أصبحت تتم بطريقة آلية عفوية[32].

6.الفرق بين الاستعارة المفهومية واستعارة المزج المفهومي:

1.6.الاستعارة المفهومية: الاستعارة المفهومية عملية تصور تبنى في الذهن عن شيء ما، من خلال البنية التصورية عن شيء ما، من خلال البنية التصورية عن شيء آخر، مخزنة في ذهن المتلقي من قبل. إذ يقوم العمل الاستعاري في الاستعارة المفهومية على التوضيح والاستفسار لشيء ما عن طريق شيء آخر، إذ هو عمل استعاري قاصر محدود القدرة، لا إبداع فيه، فهو شرح وتوضيح فقط فهي جزء من النظام العرفني فهي أداة لتمثل المفاهيم، فالاستعارة عند لا يكوف هي إسقاط عابر للمجالات في النظام المفهومي، والعبارة الاستعارية تحقيق سطحي لتلك العمليات من جملة تحقيقات أخرى، هذا يقابل البنية السطحية والبنية العميقة عند **تشو مسكي**[33] الذي يرى أن الجملة يتم بناؤها أولا في البنية العميقة للمتكلم، ثم يتم ظهورها على السطح في البنية السطحية عن طريق عمليات التحويل الممكنة.

أما **نظرية المزج المفهومي** تبين قصور نظرية الاستعارة المفهومية عن الإحاطة بنماذج قامت عليها نظرية المزج، حيث نشأت من السؤال في ما به يكون نشوء المفاهيم الجديدة في الفكر البشري، بما يتضمن ذلك من صور وأفكار وأعمال خضوعا في جميع المجالات، فيكون حدوث المفاهيم مزيجا من مفاهيم أخرى فيكون حدوث المفاهيم مزيجا من مفاهيم أخرى فيكون لها معنى جديدا غير متوفر في المفاهيم المتمازجة[34]. ويمكننا التمثيل بنموذج من نظرية المزج المفهومي حول استعارة "**الناقة سفينة الصحراء**" :

يتمثل ها هنا الفضاء الجامع في مجال التنقل عامة بما فيه من أدوات فهي الناقة أو السفينة أو غيرهما من أدوات النقل، والمنقول هو الانسان أو البضاعة والمجال هو الجو أو البر أو البحر، فيتجسد في هذه الصورة فضاءان دخلان هما: **فضاء السفينة** (فضاء دخل 1)، **وفضاء الناقة** (فضاء دخل2)، وفي كل واحد من هما عناصر توافق إسقاط العناصر المكونة للفضاء الجامع، ويكون بين الفضائيين الدخلين إسقاط على أساس التناسب: تناسب السفينة بما تحمله من صفات وسمات وخصائص في

الصنع والمادة والنوعية، والناقة وما تحمله من خصائص باعتبارها كائنا حيا عشبيا، ويتناسب القولان من حيث الاسقاط حيث كان انسانا مسافرا أو بضاعة منقولة وكذلك مجال النقل فهو أمواج البحر من جهة وهو رمال الصحراء من جهة أخرى، فبالتركيب تحدث علاقات لم تكن موجودة في الفضاءين الدخلين واحدا بواحد، فالسفينة بالناقة، والتزحلق على سطح الماء بفعل الشراع أو التجديف بالسير على القوائم، والأمواج بكثبان الرمال وميناء الانطلاق بنقطة في الصحراء تنطلق منها رحلة الناقة، فتنصهر السفينة في الناقة انصهارا وتتحد بها من حيث آداء دور النقل فيحدث لذلك معنى ليس من منطوق الفضاءين الدّخلين.[35]

وفي استعارة (**تكلم فجمع بين الأروى والنعام**) تقوم هذه الاستعارة على المزج بين فضاءين دخلين، الفضاء الدخل الأول ويمثله الراعي الذي جمع بين الأروى وهو حيوان يسكن الجبال، ويرتاد الوعر منها، والنعام وهو حيوان يعيش في الصحاري والفيافي ...والفضاء الثاني: يمثله المتكلم الذي يجمع حديثه متنافر الكلم التي تكون متنافرة الكلام وغير ملائمة ولا رباط بينها، أما الفضاء المزجي، وهو الفضاء الذي يقوم بإسقاط، فهو ذلك الفضاء الذي يقوم على اسقاط انتقائي لعناصر الفضاءين الدخلين، فالمتكلم هو الراعي ، وموضوعات الكلام تناسب الأروى والنعام، وفعل الرعي والجمع بين حيوانين لا يجتمعان في فضاء واحد، يمثله فعل الكلام الذي يجمع موضوعات متباينة[36]، فتكون بهذا المزج موضوعات متباينة، فتتولد بهذا المزج فضاء جديد، نشأت منه معان جديدة لم يكن لها سبق الوجود من ذي قبل.

7.خاتمة:

وفي الأخير يمكننا القول أن الاستعارة في ضوء التصور العرفني من خلال نموذج الاستعارة المفهومية أو نظرية المزج المفهومي قد غيرت المفهوم التقليدي للاستعارة الذي يقوم على التشبيه وحذف أحد أركانه في الاستعارة المكنية أو التصريحية، لكي تقوم بتقوية المعنى وتجليه سواء في صور مادية أو معنوية، أو لزيادة جمالية وزخرفة لفظية إلى أن تتحول النظرة للاستعارة في ضوء النموذج العرفني إلى آلية ذهنية متمركزة في الذهن مع جملة التصورات من العرفان والتي تساير حياتنا ونشاطاتنا اليومية، لما للذهن من أهمية في الاستعارة العرفنية فهو أساس الفهم في التشكيل الاستعاري للاستعارة وتفسيرها ولذلك تبلورت الاستعارة المفهومية لتبين دورها في عملية الفهم، كما أن الاستعارة المفهومية تقوم على معلومات متجذرة في الذهن وعلى العكس من ذلك فنظرية المزج

التصوري التي ترى أن الاسقاط عملية تجري في آن القول وتحدث استعارات جديدة لم تكن موجودة من قبل.

الهوامش:

[1]:عطية ، 2013، ص53.

[2]: القلفاط ،2012، ص311.

[3]: بن غريبة: 2010، ص40.

[4]: بن غريبة: المرجع نفسه، ص40.

[5]: بن غريبة:المرجع نفسه ، ص40.

[6]: عطية ، ص59.

[7]: لايكوف و جونسون، 2009، ص21.

[8]: لايكوف، جونسون: المرجع السابق، ص22.

[9]: لايكوف، جونسون: المرجع نفسه، ص23.

[10]: لايكوف، جونسون: المرجع نفسه، ص24.

[11]: الزناد،ص142.

[12]: الزناد، المرجع نفسه، ص142.

[13]: الزناد، المرجع السابق، ص142.

[14]: عطية ، مصر، 2015،ص147.

[15]: الزناد، 2011،ص265 . و تورنر، 2011 ، ص265 .

[16] : عطية ، ص147.

[17]: تورنر، 2011،ص13.

[18]: دحمان: 2012، ص128.

[19]: أليجيري: ص82.

[20]: دحمان: ص133.

[21] :-Robert 2004 , p107.

[22]: دحمان: ص135.

[23]: دحمان: المرجع نفسه: ص135.

[24]: البوعمراني: 2009، ص215.

[25]: البوعمراني: المرجع نفسه: ص220.

[26]: الجرجاني. ص227.

[27]: البوعمراني، ص222.

[28]: : البوعمراني: المرجع السابق، ص222.

[29]: الجرجاني: الوساطة، ص 216.

[30]: البوعمراني، ص210.

[31]: عطية : ص144.

[32]:عطية: المرجع السابق، ص145.

[33]: عطية ، 2015، ص148.

[34]: عطية: المرجع نفسه، ص149.

[35]: الزناد، ، ص235.

[36]: البوعمراني: ص149.

- **المصادر والمراجع:**

1. عطية سليمان أحمد: الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفنية: النموذج الشبكي، البنية، المكتبة الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، 2013.
2. عبد الجبار بن غريبة: مدخل إلى النحو العرفني: مسكيلياني للنشر، كلية الآداب والفنون والانسانيات بمنوبة، تونس، ط1، 2010.
3. القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل، ابراهيم وعلي البيجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ط1.
4. محمد الصالح البوعمراني: السيميائية العرفنية "الاستعاري والثقافي" ، مركز النشر الجامعي، تونس، 2015.
5. الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار محمد علي للنشر.
6. عطية سليمان أحمد: الاشهار القرآني والمعنى العرفني في ضوء النظرية العرفنية والمزج المفهومي والتداولية، سورة يوسف أنموذجا، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، 2015.
7. الأزهر الزناد، النص والخطاب "مباحث لسانية عرفنية، دار محمد علي، صفاقس، تونس، ط1، 2011،ص265 مارك تورنر: تر: الأزهر الزناد، جامعة منوبة (تونس)، كلية الآداب والفنون والانسانيات، وحدة البحث: اللسانيات العرفنية واللغة العربية، 2011.

8. عمر بن دحمان: الاستعارات والخطاب الأدبي: مقاربة معرفية معاصرة: أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، تخصص: اللغة والأدب العربي، 2012.

9. محمد الصالح البوعمراني: دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، ط1، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2009.

قائمة المراجع المترجمة:

10.جورج لايكوف، ومارك جونسون: الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ط2009،2 .

11.دانتي أليجيري: الكوميديا الإلهية، تر: حسن عثمان: ط3، دار المعارف، مصر.

12. المنجي القلفاط: الاستعارة في المنظورين التداولي والعرفني،حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والانسانيات، ع57،جامعة منوبة، تونس،2012.

المراجع باللغة الأجنبية:

13.-Robert Frost; poems , Publisher: poemHunter.Com -The World's Poetry Archive, 2004